مناظرات الشعراوي

ردا على العلمانيون والملاحدة:

فضيلة الشيخ الجليل محمد متولي الشعراوي.. ورغبة في طرح الرؤية الإسلامية للعلمانية وفلسفة التنوير.. كان هذا الحوار.

سؤال: في بلادنا علمانيون يدعون للتنوير..

الشيخ الشعراوي مقاطعاً: هم أخذوا التنوير من هناك " من الغرب" وقالوا إن التنوير كان طابعا لحضارة أوروبا فترة انتقالها من الظلمة والتأخر.. ولذلك هم قرنوا التنوير بإلغاء سلطة الدين والكنيسة. أي أصبح التنوير عندهم هو ألآن نلغي فكرة الدين حتى لا تحد من انطلاق العقل.

سؤال: يقولون إنها الفلسفة التي قادت النهضة الأوروبية.

الشيخ الشعراوي مقاطعاً: إن هذه الفلسفة التي قادت النهضة الأوروبية جاءت نتيجة تسلط الكنيسة التي حجرت على العقول والتي جعلت لغة التعامل مع أي مفكر في الكون " لمجرد= أنه مفكر " إما الجلد وإما الحبس وإما القتل.

فملا جاء ما سمي بالتنوير وأبطل هذا بالتسلط وهذا الحجر على العقول.. حدث التقدم. وهم يريدون منا أن نفعل هذا:

سؤال: نعم هم يريدون أن نفعل هذا ويرشحون هذا الفكر لقيادة نهضتنا العربية والإسلامية.

الشيخ الشعراوي: عندما سيطرت الكنيسة.. حجرت على العقول.. أليس كذلك؟! فلما انحل سلطان الكنيسة أو تسلط الكنيسة على العق.. انطلق

العقل.. فجاءت الحضارة " كلام سليم قوي " أنتم ماذا تريدون منا أن نفعل؟ تريدون منا في المقابل أن نلغي سيطرة الدين حتى نتقدم مثلهم " عال قوي " وأيضا نحن نقول لهم: تعالوا.. كونوا منصفين حتى في إجراء المقابلة.. هناك دين وهنا دين آخر.. تلك واحدة.

والثانية: تسلط الكنيسة باسم دينهم هو الذي حجر على العقول وحرم البحث في الكونيات.

فهل حجر ديننا على انطلاق العقل في علوم الكونيات؟؟ لا /. بل حثه وحرضه على ذلك.. " قل سيروا في الأرض فانظروا.. " والعلم عندنا نوعان. والعلم معناه الوصول إلى قضية يقينية.. واقعة.. وعليها دليل.

والعلم نوعان كما قلت: نوع في الكون.. ونوع من المكّون:

أما النوع الذي في الكون.. فالعقول ستلتقي فيه ولو غصباً عنها. لأنه ناشئ عن تجربة معملية لا تجاهل.. ولذلك يتحد فيها الخصوم بدليل أنه لا توجد " كهرباء روسي وكهرباء أمريكاني " و " لا كيمياء إنجليزي ولا كيمياء ألماني" كلها قوانين واحدة.. لأنها كما قلنا نتيجة التجربة المعملية التي لا تجامل.

فما موقف الإسلام من التجربة المعملية التي لا تجامل؟ الإسلام حرض العقول وحثها على الانطلاق في التجربة المعملية كما تحب ولا قيود على حركتها.. لماذا؟

لأن البحث في الكونيات سيكون أصلاً لتصديق الأمور غير الكونية ستهدينا إلى أن هناك إلهاً.. إلها يأمرني بماذا؟ يقول لك أنا لا آمرك إلا بشيء يضمن وحدة الحركة في الوجود.

أي لا يوجد واحد يبني وواحد يهدم.. وواحد يبني وواحد يهدم هذه.. لأي الأشياء تخضع؟ " تخضع لأهوائهم ".

ويكون ذلك مراداً ومقصداً للدين.. أن يخرج العقل من مسألة الانطلاق في الأهواء.. لأن كل واحد سيكون له هوى.. وما دام كل واحد سيكون له هوى.. إذن سنختلف.. ومن هنا الأمور التي ستفسدها الأهواء.. حكمها الإسلام بالتشريع: " افعل ولا تفعل ".

أما الأمور التي سيدعونا الهوى لأن نلتقي فيها.. تركها الدين.. لأننا كما قلنا سنلتقي فيها ولو غصبا.

ولذلك نحن قلنا: الآية القرآنية في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ [٢٧] وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر:٢٧/ ٢٨).

انظر ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ أمر لا دخل للإنسان فيه.. لكن ساعة إخراج الثمرات.. فللإنسان فيها دور " يبذر ويحرث ويزرع " قال: ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾

﴿ فأخرجنا به ثمرات كل شيء ﴾ هذا هو علم النبات.

﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ هذا علم الجماد.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾ هذا هو علم الناس والإنسان.

﴿ وَالدَّوَابِّ ﴾ هذا هو علم الحيوان.

ولذلك لم يأت هنا بحكم شرعي إطلاقا. لأنها آيات كونية.. الله أنزل من السماء ماء وحصل منه كيت وكيت " عطاء ربوبية".

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾ لأنهم سيهتدون إلى أن كل ذلك لا يمكن أن يأتي وحده بدون موجد.

وأيضا لأن البحث في الكونيات هي العمدة في الدين.. لأنها هي التي ستثبت وجود الإله.. الذي سنأتمنه على مصالحنا.. والذي قال ما ستفسده الأهواء.. أحكمه أنا.. لأنني لو تركتها لك لفسدت السموات والأرض.

فماذا فعلت أوروبا؟

قالت للدين ولرجل الدين: لا تتدخل في الكونيات "لأنه كان يقيدها". وقالت لعلماء الكونيات: لا تتدخلوا في الدين. وهذا ما جاء به الإسلام فرغ العقل لأمور كفاحه في الأرض. وقال رجل الدين: لا تتدخل في علوم الكونيات لأنها هي التي ستعطيك الأدلة المادية التي أنت بحاجة إليها.

سؤال: هناك عبارة فلسفية تقول: "إنه لا سلطان على العقل إلا العقل"

الشيخ الشعراوي: عقل من.. عقلي أم عقلك؟.. أي عقل على أي عقل؟

وأول من حكم بالعقل... من الذي حكمه أولا حتى يتعقل؟.. مع أن كثيرا من الأمور العقلية النظرية التي حكم فيها العقل فيها العقل تغيرت وتبدلت.

أليست الشيوعية نظرية عقلية؟.. أليست الرأسمالية نظرية عقلية أيضًا؟ واختلفوا واندلعت على أثر ذلك الاختلاف حروب كثيرة.. لكن هل اختلف أصحاب النظريتين المتعاصرتين في نفس الوقت في علم الكونيات؟ لا.. لم يختلفوا.. بل أكثر من ذلك " سرقوا هذا العلم من بعض " يعني الأمور

النظرية العقلية " بنت الهوى " أقاموا سدودا لمنعها من الدخول فيما سمي بـ" الستار الحديدي ".

والأمور الكونية.. المعملية.. أرسلوا جواسيس لسرقتها.

سؤال: وما موقف الإسلام من تحرير العقل من أي سلطان؟

الشيخ الشعراوي: تلك دعوة باطلة:

سؤال: وما موقف الإسلام من العق وعلاقته بالوحي؟

الشيخ الشعراوي: الإسلام يريد من العقل أن يثبت أن هناك وحياً.. ولذلك قالوا: العقل كالمطية.. توصلك إلى حضرة السلطان ولا تدخل معك عليه. مثلا: إذا شعرت بألم في أمعائي.. يكون دور عقلي وعقل أحبابي الذين سأستشيرهم أن نصل إلى اختيار الطبيب.. وعند ذهابي إلى الطبيب نقف جميعا بعقولنا على باب الطبيب لنرى ماذا سيقول.. لننقذه.

أي أن العقل يصل بنا إلى أن للكون إلهاً أما ماذا يريد الإله وما مطلوبة منا هذا أمر لا دخل للعقل فيه.

سؤال: إذن الاعتماد على العقل يتفاوت في علوم الشرع عنه في العلوم التجريبية !

الشيخ الشعراوي: نعم.. العقل يوصلني إلى إثبات الأمور التكليفية.. إلى أن يه إلها.. وفيه بلاغا عنه.. وأيضا لأن علوم الشرع كما قلنا جاءت لتعصمنا من اختلاف الأهواء.. ولذلك في العلوم التجريبية المعملية قال النبي ﷺ: أنتم أعلم بشئون دنياكم. ويأتي بالتجربة في نفسه " ينهي ثم يلغي النهي " لكي يكون قدوة للمسلمين في الأمور التجريبية المعملية حتى لا يتدخل فيها الدين.

سؤال: يدعو العلمانيون أيضا إلى جعل الدين علاقة خاصة بين العبد وربه وإلى جعل المرجعية في السياسة والاجتماع والاقتصاد وتنظيم الدولة للعقل والتجربة !

الشيخ الشعراوي: كلمة " علاقة " هذه تسمية خاطئة.. لأن معنى " العلاقة " لا يتأتي إلا بين طرفين كلاهما محتاج للآخر.. أي أن العلاقات تنشأ لربط مصالح الناس ببعضها.

والله بصفات كماله وجلاله موجود قبل أن يخلق الإنسان.. وأوجد بهذه الصفات الإنسان..بل أوجد الكون كله.. فالذي خلق كل ذلك من عدم وأوجده في حاجة إلى أحد. ليس محتاجا إلى..

لأن هو " وحدانية بعزها..وعبودية " نحن الذين نحتاج إليه.. أما هو فليس في حاجة إلى أي منا.. ولهذا لا يجوز هنا إطلاق كلمة علاقة.

ثم.. على فرض منطقكم.. ما مطلوب الله منا في هذه العلاقة الخاصة؟

إجابة: أن نتعبد أن نصلي.. أن نصوم.. أن نزكي.

الشيخ الشعراوي: لماذا؟؟ هذه كلها تكليفات لإعلان الولاء لله تدريباً لنا حتى إذا وقفنا بين يدي حكم الله أو بين يدي الله تساوينا جميعاً في الطاعة.

أما عن الكلام حول المرجعية.. ربما كان هذا منطقيا لو لم يوجد للإسلام في كل هذه الأمور رأي.. ولكن الأمر خلاف ذلك.. للإسلام رأي في كل ما سبق.. والتشريع الإسلامي شمل كل أمور الحياة.. من القمة.. من لا إله إلا الله " والتي ربما ينكرها البعض " إلى إماطة الأذى عن الطريق.

لقد جاء التشريع الإسلامي بنظام فيه حل لكل قضايا الحياة.. حل ذهب إليه حتى الذين يدينون بغير الإسلام.. لم يذهبوا إليه تدينا.. ولكن لأنهم

وجدوها حلولا مثلي لكل قضايا الحياة التي عضتهم.

وهذا هو المعنى في قوله تبارك وتعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (الفتح:٢٨). وهنا ليس معناه أن تنطمس كل الأديان وكل الملاحدة وكل أهل الكفر ويبقي الإسلام.. بل معناه أن يظهره عليهم نظاما بالحجة والبرهان..وتلك ليست شهادة من مسلم..ولكن شهادة ممن لا يدينون بالإسلام. وانظروا إلى موقف الغرب من " الطلاق ". وكيف كان يرفضه.. بل لعلهم كانوا يعيبونه على الإسلام. هذا الموقف انتهي إلى ماذا؟ انتهي إلى إنهم واجهوا مشاكل لا حل لها إلا بالطلاق.. وذهبت إيطاليا " التي يوجد بها الفاتيكان " إلى الطلاق الذي شرعه الإسلام. ولعل تلك أبلغ شهادة للنظام الإسلامي.. حيث " شهد شاهد من أهلها ".

ولذلك كان عليهم أن يطالبوا بأن تكون المرجعية للاسم في كل الأمور: اقتصادية واجتماعية وتنظيمية إلى آخره. لأن الإسلام جاء بالنظام الذي استوعب كل أقضية الحياة.. حتى إماطة الأذى عن الطريق.

سؤال: وهل لهذه الدعوة مكان أو حظ من النجاح في بلادنا؟؟

الشيخ الشعراوي: لا.. لأن هذا أمر لا يتأتى.

سؤال: وهل الخلاف بين الإسلام والعلمانية يدخل في نطاق الأصول أم في نطاق الفروع؟؟

الشيخ الشعراوي: خلاف في أصل الأصول.. " ثم أضاف ": هاتوا لنا جزاء طبقت فيه الشريعة وحدث من فساد. وفي المقابل هاتوا لنا جزءا حكمته الأهواء ونتج عنه صلاح. ثم على فرض أننا جميعا نحب الخير.. ونحب الصح. فكيف نواجه الفساد؟

نضطر لعمل قوة لتضييق الخناق على من يريد الإفساد.. وتتتبع المفسد..وتدينه.. ثم تحاسبه.

ولكن ما هي كيفية مواجهة الفساد الذي ينشأ عن محتاط ألا تقع ليه يد القانون؟

إذن أنت يا أيها القانون البشري الوضعي لا تسيطر إلا على المحس من حركات الفساد والذي يدخل في إمكانك أن تضع يدك عليه؟ طيب ومن يفسد بإحكام بحيث لا تطوله يد القانون البشري.. من الذي يمنع فساده وشره عن المجتمع؟

لا يمنع هذا إلا ا، تكون هناك قوة لا يصل إليه احتياطه. لأن القوانين الوضعية البشرية حمت المجتمع من الجريمة التي ظهرت وخاب احتياط مرتكبها.. والذي لم تظهر جريمته ونجح احتياطه.. لابد أ، تكون هناك قوة أخرى تردعه.. ولا تخفي عليها خافية.

سؤال: وإذا أردنا أن نطبق الشريعة الإسلامية ألآن.. فهل هناك أولويات لتطبيق الشريعة؟؟

الشيخ الشعراوي: الأولويات كانت في أول التشريع.. ولكن من الممكن أن تكون الآن سياسة شرعية..ويمكن القياس. فالله حين أخرج الناس من جاهلية. كان فيه نوعان.. نوع عقيدة هذه لا هوادة فيها أي لابد من تصفية كل مسائل الكفر.

ونوع متعلق بالعادة.. يمكن أن تكون هناك فترة زمنية لكي أخرجه مما اعتاده ويجب أن يكون القياس عندي: أفضل أن أخفف الشر أم أبقيه.

قلت في نفسي: أخففه.. وألحت على خاطري.. ودوت في أذني.. وهزت

أعماقي.. صيحة الإمام الجليل فضيلة الشيخ الشعراوي:

" نريد أن نحكم بالإسلام"." بضم النون ".. إذ الغاية والقصد أن تكون المرجعية.. للشريعة الإسلامية.. وأن يقوم الحاكم على عدالة تطبيقها.. أما من يحكم فذلك أمر مرجعيته.. هي إرادة الأمة.

****

obeikandl.com